زيادة الأسماء في اللغة العربية

Addition of Nouns in the Arabic Language

د. إيمان بنت محمد عبدالفتاح المدني
أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية، كلية الآداب
جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن - الرياض – المملكة العربية السعودية

eman.m.m.123@hotmail.com

تاريخ الإيداع: 2019/02/17 **تاريخ القبول: 2019/08/23**

ملخص البحث

يقوم البحث على زيادة الأسماء في اللغة العربيّة، ومبحث الزيادة متنوّع ومتعدِّد الجوانب، فالزيادة تقع في الحروف، وهذا الأكثر، وفي الأسماء والأفعال، وتكسب الكلام فائدة بلاغيّة ودلالية، لذلك اقتصر البحث على زيادة الأسماء دون غيرها.

يحاول هذا المبحث استعراض آراء علماء اللغة وأهل التفسير في باب "زيادة الأسماء". ويهدف البحث إلى تأصيل مصطلح الزيادة واستقصاء آراء العلماء في مسألة زيادة الأسماء في اللغة العربية واختيار أمثلة من أشعار العرب توضّح زيادة الأسماء في الشعر العربي وبيان مذاهب أهل اللغة وعلماء التفسير في إطلاق الزائد على بعض الأسماء في القرآن الكريم وإيراد أمثلة متعددة للأسماء التي وجّهها بعضهم إلى الزيادة في القرآن الكريم ومناقشة الآراء المتعدِّدة في مسألة الزيادة.

والمنهج المتّبع في البحث وصفي تحليلي يقوم على وصف الظاهرة واستقصائها في المصادر اللغوية والقرآن الكريم ومن ثم مناقشة آراء علماء العربية وأهل التفسير في مواطن الزيادة.

وقد توصل البحث إلى نتائج متعدِّدة أبرزها أن علماء اللغة تعدّدت آراؤهم في مسألة زيادة الأسماء في اللغة العربية من رفض، وقبول دون شرط، أو قبول بتحفظ وتدقيق، وأنّهم تحرّجوا في ذكر الزيادة في ألفاظ القرآن الكريم تنزيهاً للكتاب الكريم عن الفهم الخاطئ للمصطلح واتّسعوا في كلام العرب. وبدا شيء من الاضطراب عند كثير من علماء اللغة والمفسرين في تجويز

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

زيادة الاسم أو منعه وأن دلالة الكلمات الزائدة متعدّدة حسب السياق الذي ترد فيه إذ لا يمكن تجاهل قيمة الاسم الزائد وما يقدمه من رونق بلاغي ومعنى توكيدي أصيل.

الكلمات المفتاحية : زيادة ؛ الأسماء ؛ اللغة العربية.

Research Abstract

The research is based on the addition of nouns in the Arabic language. The subject of addition is wide and diverse. It occurs mostly in letters, and it occurs in nouns and verbs. It adds an eloquent and semantic value to a statement, hence, the research has focused only on the addition of nouns. This research attempts to review the viewpoints of linguists and exegetes on "the addition of nouns". The research aims at rooting the term “addition” and surveying the opinions of scholars on the issue of addition of nouns in Arabic, and providing examples of Arabic poetry showing the addition of nouns in Arabic poetry. It also demonstrates the doctrines of linguists and exegetes in the subject of addition of nouns in the Holy Quran, provides examples of nouns that have been claimed additional in the Holy Quran by some, and discusses the various opinions in the matter of addition. The research follows the descriptive analytical approach that is based on describing the phenomenon and investigating it in the linguistic resources and the Holy Quran, then, discussing the opinions of Arabic linguists and exegetes on the points of addition. The research has reached several findings, most notably that linguists have different views on the issue of additional nouns in Arabic between rejection, unconditional acceptance, or acceptance with reservation and scrutiny. They abstained to mention addition in the words of the Holy Quran to deem the Holy Book far above any miss-understanding of the term, while they elaborated on the words of Arabs. There was some confusion among many linguists and exegetes in the contingency or prevention of the addition of nouns, and that the connotation of the addition of nouns varies depending on the context, as the value of the additional noun and its splendid eloquence and authentic assertive meaning cannot be ignored.

Keywords: Addition of nouns in the language.

المقدمة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

موضوع البحث:

يدور البحث حول الزيادة في اللغة العربية عامة، وزيادة الأسماء خاصّة وآراء علماء اللغة وأهل التفسير في "زيادة الأسماء". واقتصر البحث على الأسماء دون الحروف والأفعال لاتساع الدراسة فيها.

إن آراء العلماء في مسألة زيادة الأسماء في اللغة العربية متعدِّدة من رفض وقبول دون شرط أو قبول بتحفّظ وتدقيق، وقد حاول هذا البحث التأصيل لمصطلح الزيادة واستقصاء آراء علماء اللغة والمفسّرين في هذه المسألة وبيان أن الزيادة غير ثابتة عند جميع اللغويين والمفسِّرين.

حدوده:

إن بحث "الزيادة في الأسماء" سيقتصر على الأسماء دون الأفعال أو الحروف، لأن الزيادة تقع في الحروف، وهذا الأكثر، وفي الأسماء والأفعال، وتكسب الكلام فائدة بلاغيّة ودلاليّة.

أهدافه:

يهدف البحث إلى شرح آراء اللغويين في مسألة زيادة الأسماء وتفسير بعض المواضع اللغوية المختلَف في زيادة الأسماء فيها، مع بيان فائدة الزيادة في كل موضع على حدة.

منهجه:

يسير البحث على المنهج الوصفي التحليلي القائم على استقراء آراء علماء اللغة في مسألة الزيادة ووصف هذه الظاهرة واستقصائها ومن ثم تحليل الأمثلة والشواهد الواردة.

خطة البحث:

1- مقدِّمة

2- تأصيل مصطلح "الزيادة" ومرادفات هذا المصطلح، ومنها: الحشو، الطرح، الإقحام، الإطناب، الصِّلة...

3- مواضع الزيادة.

4- آراء العلماء في مسألة زيادة الأسماء.

5- أمثلة مختارة من أشعار العرب توضِّح زيادة الأسماء في الشعر العربي، وهذه الأسماء هي:

حيّ، آل، مقام، اسم، زيادة أسماء الزمان "يوم، حين"، زيادة اسم الاستفهام "كيف"، زيادة الاسم الموصول "مَنْ"، زيادة "ذا" في تركيب اسم الاستفهام "ماذا".

6- زيادة الأسماء في القرآن الكريم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

-مذهب أهل اللغة وعلماء التفسير في إطلاق الزائد على بعض الأسماء في القرآن الكريم.

7- أمثلة متعدِّدة للأسماء التي وجّهها بعضهم إلى الزيادة في القرآن الكريم ومنها: زيادة "وجه"، زيادة "آل"، زيادة "مقام"، زيادة "اسم"، زيادة "مثل"، زيادة "ضمير الفصل"، زيادة "فوق".

8- خاتمة وتتضمّن نتائج البحث.

9- قائمة المصادر والمراجع.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تأصيل مصطلح "الزِّيادة" ومرادفات هذا المصطلح:

إنّ فهم أيّ ظاهرة لغويّة أو معرفيّة مرتبط بتحديد مفهوم المصطلح المرتبط بها، ولذلك قبل الشروع في الحديث عن ظاهرة الزيادة في اللغة لا بدّ من بيان المعاني المتعدِّدة لمصطلح "الزيادة" وفق ما ورد في أبرز معاجم اللغة وكتب النحويّين المتقدِّمين، فقد جاء في مقاييس اللغة أنّ: ((الزاء والياء والدّال أصلٌ يدلّ على الفَضْل، يقولون: زادَ الشيء، يزيدُ فهو زائد... ويقال: شيء كثيرُ الزَّايِد، أي: الزيادات، وربّما قالوا: زوائد...))[1].

وقال ابن منظور: ((الزِّيادة: النمو، وكذلك: الزُّوادة. والزيادة: خلاف النقصان، واستزدته: طلبت منه الزيادة... وتزيَّد في كلامه وفعله، وتزايد: تكلَّف الزيادة فيه...))[2].

إنّ المعاني المستخلصة من معاجم ألفاظ اللغة تشير إلى أنّ الدلالة اللغوية للزيادة مرتبطة بالنمو والتكثير والفَضْلة. ومن استقراء لكثير من معاجم المعاني وكتب البلاغة واللغة، نقف على تعريفات متعدِّدة للزيادة أبرزها ما ذكره عبد القاهر الجرجاني، فقال: ((إنَّ حقيقة الزيادة في الكلمة أن تُعْرى من معناها، وتُذْكَر ولا فائدة لها سوى الصِّلة، ويكون سقوطها وثبوتها سواء، ومحالٌ أن يكون ذلك مجازاً، لأنّ المجاز أن يُراد بالكلمة غيرُ ما وُضِعت له في الأصل، أو يُزاد فيها، أو يوهَم شيءٌ ليس من شأنها))[3].

وأفرد الكفوي في معجمه فصلاً للحديث عن الزيادة فقال: ((الزيادة هي أن ينضمّ إلى ما عليه الشيء في نفسه شيءٌ آخر، وهي بمعنى الازدياد... والزيادة كما تستعمل بمعنى الزائد المستدرَك وهو المعنى المشهور، كذلك تستعمل فيما يتمّ به الشيء، ويكمل به في عين الكمال، والزائد في كلامهم لا بدّ أن يفيد فائدة معنويّة أو لفظيّة، وإلاّ كان عبثاً ولغواً...))[4].

و"الزيادة" من مصطلحات البصريين ويقابله "الحشو" في عبارات الكوفيين.[5] إذ إنّنا لا نقف مثلاً على مصطلح "الصِّلة"[6] ومصطلح "الحشو"[7] ومصطلح "الطرح"[8] مقابلاً لمصطلح الزيادة.

وممّا سبق يمكن تحديد أبرز المصطلحات المرادفة لمصطلح "الزيادة" وهي: الفائض، الفاضل، الفَضْلة، الصِّلة، الحشو، الطّرح، الإقحام، الإطناب. إلا أنّ مصطلح "الزيادة" هو الأعمّ في كتب اللغويين، ويقابله "الإطناب" عند البلاغيين، ومن ذلك ما جاء عن ابن الأثير في تعريف الإطناب: ((هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة، فهذا حدُّه الذي يميّزه عن التطويل، إنَّ التطويل هو زيادة اللفظ على المعنى لغير فائدة))[9].

وقال أبو هلال العسكري: ((الإطناب بلاغة، وهو بمنزلة سلوك طريقٍ بعيدٍ نَزِهٍ يحتوي على زيادة فائدة))[10].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إذن: الإطناب زيادة في الألفاظ لفائدة مرجوّة.

مواضع الزيادة:

بعد استعراض سريع لمعنى "الزيادة" وبعض المصطلحات المرادفة لا بدّ أن نذكر مواضع الزيادة، فالزيادة تقع في الحروف، وهذا الأكثر، وفي الأسماء والأفعال، وتكسب الكلام فائدة. وهذا ما عناه الجرجاني بقوله: ((إنّ الزيادة، حرفاً أو اسماً أو فعلاً، وهي التي قد يُظَنُّ أن ليس لها في هذا المجال عملٌ، كثيراً ما تُكسب العبارة التي تُدْخِلها فَضْل معنى، لولاها لم يكن.))[11]

ولن نقف في بحثنا على الزيادة في الحروف لأنَّ هذا موضع يطول الحديث فيه، وتختلف آراء العلماء والمفسِّرين فيه، إلاّ أنّنا نكتفي بالإشارة إلى أنّ حروف الزِّيادة عشرة يجمعها قولهم: "سألتمونيها" والكوفيّون يتوسّعون في حروف الزيادة، ويطلقون القول فيها بغير قيدٍ، ولا يفرّقون بين زيادة صرفية وغيرها. وكذلك من الحروف الزائدة، وهي كثيرة، (إنّ، أنّ، إذ، إذا، إلى، أم، الباء، الفاء، في، الكاف، اللام، لا، ما، من والواو). هذا ما ذكره السيوطي حين قال: ((...هذه الحروف تتغيّر نفس المطبوع بنقصانها، ويجد نفسه بزيادتها على معنى بخلاف ما يجده بنقصانه. ثم باب الزيادة في الحروف، وزيادة الأفعال قليل، والأسماء أقلّ))[12].

وقد تكون الزيادة في حروف الفعل مبالغة، كما قال ابن فارس: ((العرب تزيد في حروف الفعل مبالغة، فيقولون: "حَلا الشيءُ" فإذا انتهى قالوا: "احْلَوْلى" ويقولون: "اقْلَوْلَى على فراشه"))[13].

وباب زيادة الحروف وزيادة الأفعال يحتاج بحثاً مستقلاً للوقوف على المعاني المتعدِّدة، وليس ثمّة اتفاق بين علماء البصرة والكوفة على الحروف الزائدة والأفعال الزائدة أقل من الأسماء ومختلف فيها. لذلك سنتحدث عن زيادة الأسماء بشيء من التفصيل في بحثنا هذا.

زيادة الأسماء:

تنوّعت آراء العلماء في مسألة زيادة الأسماء في اللغة العربية، ويمكن تقسيم آرائهم إلى ثلاثة، وهي:

أوّلاً: رفض زيادة الأسماء: وذهب إلى هذا الرفض فريق من علماء اللغة واحتجّوا أنّ طبيعة اللغة تأبى الزِّيادة جملة وتفصيلاً، ولا يقبل أصحاب هذا الفريق وصف الكلمة بالزيادة إذا دلّت على معنىً، ويرى أن لا ضرورة تستوجبها، فالسّياق يختلّ بسقوطها، والمعنى ينقص بفقدها، ومن تكلَّف الزيادة فقد حاد عن السُّنن، وجارَ في الحكم، وتكلَّف بها عُسْراً ومخالفة عن المألوف من عمق التفكير.

ثانياً: قبول الزيادة دون شرط، فأصحاب هذا المذهب يرون أنّ الزيادة جاءت استجابة لطبيعة المعنى أولاً، والمعتاد المألوف من الأساليب العربية ثم مقتضيات المقام. وخصائص

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التعبير، فالعرب إنّما قصدت بلغتها الإفصاح والبيان، فذلك هو المقصد الأصيل باصطناع اللغة في التعبير، وأنها لذلك مكّنت كلامها باللفظ الزائد توكيداً يستوجبه سياق الكلام ويرحِّب به المعنى، سماحة لهذه اللغة وحسن مطاوعتها.

ثالثاً: قبول الزيادة بتحفّظ وتدقيق: وهذا الفريق لا يسوق قضيّة "زيادة الأسماء" مُرسلة دون تحفُّظ أو تخصيص وإنما يرى أنَّها من الأصول المقرَّرة التي فيها خلاف، فيبدؤون بدراسة النص لاكتناه خفاياه،

والكشف عن مصادره وموارده، وصفاً وتحليلاً واستقصاء لأحواله، بحثاً عن الصلات الواشجة والعروق الضاربة هنا وهناك في كثير من الدقّة والتحرّج والحيطة.[14]

وهذه الآراء الثلاثة تمثّل سنن العرب في كلامها، وقضيّة الزيادة في الأسماء ليست قضيّة إجازة أو منع ورفض فقط، إنّما الغاية منها في بحثنا التوقف عند القيم البلاغية والأسرار الدلالية التي يطويها الاسم الذي يحكم بزيادته، وما يحتمله من المعاني في كلِّ سياق، وحسب المقام ومقتضى الحال.

وسنقف عند بعض الأسماء الزائدة على سبيل التمثيل لا الإحصاء لأنها في كلام العرب أكثر من أن تحصى. وسنبدأ بزيادة بعض الأسماء في الشعر العربي:

1-زيادة كلمة "حيّ":

الحيُّ: البطن من بطون العرب، وجمعه: أحياء، قال الأزهري: ((الحيُّ يقع على بني الأب، كثروا أو قلّوا))[15].

ومن ذلك ما أنشده أبو زيد:

يـــا قُـــرَّ إنَّ أبـــاكِ حَـــيَّ خُوَيْلـــد

قـــد كُنْـــتُ خَائِفَـــه علـى الإحمـــاقِ[16]

يريد: إنّ أباك خويلد.

وهذا مذهب أبي علي الفارسي، وتبعه في ذلك "في زيادة حي" الزمخشري والبيضاوي.[17]

وقد وردت أيضاً كلمة "حي" في مثال شعريّ آخر، فقد أنشد أبو الحسن:

أبـــو بَحْـــرٍ أشـــدُّ النـــاس مِنَّـــا علينـــا بعـــد حَـــيِّ أبـــي المغيـــرة[18]

يريد: بعد أبي المغيرة.

وأنشد أحمد بن إبراهيم أستاذ ثعلب:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وحـيَّ بكــر طَعَنَّــا طَعْنَــةً بَجَــرا[19] ... ...

أي: بكراً طَعَنّا.

وقد علّق البغدادي على زيادة "حيّ" في أشعار العرب بقوله: ((ومَنْ حكم بزيادة "حَيّ" جعل الإضافة من قبيل الملغى إلى المعتبر، إذن له معنى دلالي توكيدي وهو تفخيم المراد بعده كما قال ابن عقيل في "شرح التسهيل"، وممّن ارتضى الزيادة الزمخشري في "المفصّل"؛ فإنّه قال: قالوا: إنّ الاسم مُقْحمٌ، دخولُه وخروجُه سواء)).

2-زيادة كلمة "آل":

الآل: أهلُ الرّجل وعياله، وأيضاً أتباعُه وأولياؤه.[20]

وممّا ذُكِرَ من الشعر في زيادة "آل" قولُ جميل:

بثينـــــــةُ مـــــــن آلِ النِّـــــــساء وإنّمـــــــا

يَكُـــــــنّ لوصـــــــلٍ لا وِصَـــــــالَ لغائـــــــب[21]

يريد: من النساء.

وكذلك البيت الذي أورده الزبيدي في التاج، وقد علّق عليه بقوله: وقد يُقْحَم "الآل" كما قال:

أُلاقـــي مِـــنْ تـــذكُّرِ آلِ ليلـــى كمـا يَلْقَـى الـسَّليمُ مـن العِـدادِ[22]

الإقحام ههنا مساوٍ للزيادة، وفيه فائدة بلاغية من تأكيد ومبالغة لمكانة ليلى وأهلها.

وسيرد التعليق على زيادة "آل" لاحقاً.

3-زيادة كلمة "مقام":

ورد في توجيه قول الشمَّاخ:

ومـــــــاءٍ قـــــــد وَرَدْتُ لِوَصْـــــــلِ أروى

عليـــــــه الطيـــــــرُ كـــــــالوَرَق اللُّجَـــــــيْن

ذَعَـــــرْتُ بـــــهِ القَطَـــــا ونفيـــــتُ عنـــــه

مقـــــامَ الـــــذئبِ كالرَّجُـــــلِ اللَّعـــــينِ[23]

أي: ونفيتُ عنه الذِّئبَ، فمقام الذّئب: أراد الذّئب نفسه، أي: نفيت الذئب عن مقامه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبيَّن بعض الشُرّاح الغرضَ من هذه الإضافة ألا وهو إفادة التوكيد، تأكيد نفي الذِّئب، لأنّه إذا نفى موضع قيامه فقد نفاه قطعاً.[24]

4-زيادة كلمة "اسم":

اسم الشيء علامته، وهو مشتقّ من "سموت" لأنّه تنويه ورفعة.[25]

وممّا أورده اللغويون على زيادة اسم في الشعر، قول لبيد:

إلـــى الحـــولِ ثـــمّ اســـمُ الـــسلامِ عليكمـــا

ومـــن يبـــكِ حـــولاً كـــاملاً فقـــد اعتـــذر[26]

وقول ذي الرّمّة:

لا يَـــــنْعَشُ الطـــــرفُ إلاّ مـــــا تخوّنـــــه

داعٍ ينـــــادي باســـــم المـــــاء مبغـــــوم[27]

فلفظ اسم في هذين البيتين مقحْم وزائد، لأن اسم الشيء هو الشيء بعينه.

ولكن في إقحامه وزيادته إضافة معنى للتوكيد لا يخفى على المتمعّن بالمعنى.

5-زيادة أسماء الزمان كـ"يوم" و"حين":

يرى بعض النحويين زيادة أسماء الزمان، كـ"يوم" و"حين" عند إضافتها إلى "إذ"، كقولك: يومئذٍ وحينئذٍ، لأنّ ذلك اليوم والحين هو مدلول "إذ" وقد أكتفي بها وحدها، وهذا مذكور في أقوال العرب وأشعارها. وإلى هذا القول ذهب كثير من الكوفيين، فقد قال السيوطي: ((استجاز أهل الكوفة زيادة "حين" في مثل: "زيدٌ حين بَقَل وجهه"، وكقولهم: وجهُه حين وسّم))[28].

6-زيادة "كيف":

تستخدم "كيف" في لغة العرب للاستفهام الحقيقي أو الإنكاري أو التعجب أو غيرها من المعاني، وقد أورد بعض النحاة شاهداً فيه "كيف" زائدة مقحمة، وهذا الشاهد:

إذا قَـــــلَّ مـــــالُ المـــــرءِ لانـــــت قناتُـــــه

وهـــــانَ علـــــى الأدنـــــى فكيـــــف الأباعـــــدُ[29]

اختلفت آراء الآئمة من علماء النحو في توجيهات إعراب "كيف"، فمنهم من أعربها عاطفة، ومنهم من أعربها مرفوعة المحل على الخبرية أو الجر بإضافة مبتدأ محذوف "فكيف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حالُ الأباعد"... أو العطف بالفاء، وكيف مقحمة زائدة لإفادة الأولويّة بالحكم، وهذا مذهب ابن هشام في المغني.[30]

وكم أضافت "كيف" ههنا من معنى جمالي مضاف لمعناها الأصلي.

7-زيادة الاسم الموصول "مَن":

وجّه قلّة من النحويين بعض الشواهد الشعرية التي وردت فيها "من" الموصولية على أنها زائدة ومقحمة فيها، وقد كانت هذه الشواهد مثار مناقشات دقيقة واختلافات بين اللغويين والنحويين، ومن هذه الشواهد قول الشاعر:

فَكَفى بنا فَضْلاً عَلى مَنْ غَيْرِنا حُبُّ النبيِّ مُحمّدٍ إيّانا[31]

يجعلون "مَنْ" زائدة مؤكّدة، كما تزاد "ما" ونُقِل توجيه الزيادة عن الكسائي، واستبعده بعض النحويين ولم يلتفت إليه.[32]

وكذلك أجاز الكسائي زيادة "مَنْ" الموصولة محتجّاً بقول الشاعر:

آلُ الزبيرِ سنامُ المجدِ قد عَلِمَتْ

ذاكَ القبائلُ والأثْرَون مَنْ عددا[33]

أي: والأثرون عدداً.

قال أبو حيان: مذهب البصريين والفرّاء أنه لا تزاد "مَنْ" لأنّها اسم، والأسماء لا تزاد، وأجاز ذلك الكسائي.

وقد ردّ ابن هشام على الكسائي بتخريج البيت على موضعين:

أ-إن هذا من الوصف بالمصدر للمبالغة، و"عدداً" إما صفة لـ"مَنْ" على أنه اسم وُضِع موضع المصدر، وهو العَدُّ، أي: والأَثْرون قوماً ذوي عَدٍّ، أي: قوماً معدودين.

ب-وإما معمول لـ"يُعَد" محذوفاً، صلة أو صفة لـ"مَنْ"، و"مَنْ" بدل عن "الأثرون"، أي: فهي في محل رفع، والمعنى: الآثرون قومٌ يُعدُّون عدداً، والآثرون الذين يُعدّون عدداً.[34]

وهذا يعني أن جمهور البصريين لا يجيز زيادة "مَنْ" بينما تزاد عند الكوفيين، ولذلك قال ابن هشام: ((زعم الكسائي أنها ترد زائدة كـ"ما" وذلك سهلٌ على قاعدة الكوفيين في أنّ الأسماء تزاد))[35].

8-زيادة "ذا" في تركيب "ماذا":

لأسلوب الاستفهام في أعاريب النحويين أوجه متعددة، وقد ذُكر منها أن تكون "ما" استفهاماً و"ذا" زائدة.[36]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد أجاز الزيادة جماعة منهم ابن مالك في نحو: ماذا صنعت؟ ((وعلى هذا التقدير فينبغي وجوب حذف الألف في نحو: لِمَ ذا جئت؟ والتحقيق أن الأسماء لا تزاد)).

وتوسّع ابن هشام في تركيب الاستفهام "ماذا" في حديثه عن "ذا" الموصولية، فهي ملغاة حُكماً، بتقديرها مركبة مع "ما" الاستفهامية، نحو: ماذا صنعت؟ فيصيران اسماً واحداً من أسماء الاستفهام. وذكر ابن هشام أن الإلغاء الحقيقي عند الكوفيين وابن مالك، وهو تقديرها زائدة بين "ما" ومدخولها، فكأنك قلت: ما صنعت؟ والبصريون لا يجيزون زيادة شيء من الأسماء.[37]

وكذلك ورد بيت أميّة:

ألا إنَّ قلبـــي لـــــدى الظَّـــاعنين حـزينٌ، فَمَـنْ ذا يعـزِّي الحزينـا؟[38]

"مَنْ" اسم استفهام، و"ذا" زائدة.

في موضع الحزن يحتاج زيادة للمبالغة في وصف مشاعره وتأكيد على بليغ حزنه.

هذه الأمثلة الشعرية التي سقناها شواهد على زيادة الأسماء مختلف فيها بين علماء البصرة والكوفة وأحياناً بين أصحاب المدرسة النحوية الواحدة. والأمثلة على زيادة الأسماء كثيرة وإنّما أثبتنا بعضها على سبيل الاستشهاد بالظاهرة وهي الزيادة لا على سبيل الحصر والتقييد.

ونقف في مبحث زيادة الأسماء على خلاف كبير بين النحويين واللغويين والمفسِّرين حول الزيادة في ألفاظ القرآن الكريم.

وقد لخَّص السيوطي آراء العلماء في ظاهرة اللفظ الزائد في كتاب الله تعالى فقال في باب الأمور التي يجب على الناظر في كتاب الله مراعاتها: ((أن يجتنب إطلاق لفظ الزائد في كتاب الله-تعالى-، فإنّ الزائد قد يُفهم منه أنه لا معنى له، وكتاب الله منزَّه عن ذلك، ولذا فرَّ بعضهم إلى التعبير بدله بالتأكيد والصِّلة والمقحم.))[39].

ونقل السيوطي أيضاً قول ابن الخشاب في هذه القضيّة، وهو: ((قال ابن الخشّاب: اختُلِف في جواز إطلاق لفظ الزائد في القرآن، فالأكثرون على جوازه نظراً إلى أنّه نزل بلسان القوم ومتعارَفهم، ولأنّ الزيادة بإزاء الحذف هذا للاختصار والتخفيف، وهذا للتوكيد والتوطئة، ومنهم من أبى ذلك. وهذه الألفاظ المحمولة على الزيادة جاءت لفوائد ومعانٍ تخصّها، فلا أفضي عليها بالزيادة. قال: والتحقيق أنّه إن أريد بالزيادة إثبات معنى لا حاجة إليه فباطلٌ لأنّه عبث، فتعيّن أن إلينا به حاجة، ولكن الحاجة إلى الأشياء قد تختلف بحسب المقاصد، فليست الحاجة إلى اللفظ الذي عدّه هؤلاء زيادة كالحاجة إلى اللفظ المزيد عليه.))[40].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويعقّب السيوطي على الكلام السابق بأنّ الحاجة إلى اللفظ الزائد تساوي الحاجة إلى اللفظ الأصيل، فاللفظ الزائد له قيمة لا يمكن تجاهلها ويعرف ذلك أهل اللغة والبلاغة. ويقول في ذلك معقّباً على كلام ابن الخشّاب:

((وأقول: بل الحاجة إليه كالحاجة إليه سواء، بالنظر إلى مقتضى الفصاحة والبلاغة، وأنّه لو ترك كان الكلام دونه مع إفادته أصل المعنى المقصود أبترَ خالياً عن الرونق البليغي لا شبهة في ذلك، ومثل هذا يُستشهد عليه بالإسناد البياني الذي خالط كلام الفصحاء، وعرف مواقع استعمالهم، وذاق حلاوة ألفاظهم، وأما النحوي الجافي فمن ذلك بمنقطع الثرى.))[41].

وسنتناول بعض الأسماء التي عدّها علماء اللغة والمفسّرون زائدة، ونبحث في توجيهاتهم لمعاني الزيادة فيها:

1-زيادة كلمة "وجه":

الوجه هو أشرف الأعضاء وأصلحه: الجارحة، والوَجْه: مُسْتَقْبَل كُلِّ شيء.

وربما عبّروا عن الذات بالوجه، ويطلق على القصد، لأنّ قاصد الشيء متوجِّهٌ إليه، ولها معان متعدِّدة.[42]

وقد عدّ ابن قتيبة كلمة "وجه" الواردة في القرآن الكريم زائدة، فقال في كتابه "تأويل مشكل القرآن": ((وممّا يزاد في الكلام: "الوجه"))[43] وأورد شواهد من القرآن الكريم تدلّل على الزيادة ومنها قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إلاّ وَجْهُهُ﴾ [القصص: 88] يريد: إلاّ هو، و"الوَجْه" زيادة. وقوله تعالى: ﴿إنّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ﴾ [الإنسان: 76] أي: لله، وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِي لِلهِ ومَنِ اتَّبَعَنِ﴾ [آل عمران:20] أي: أسلمت لله.

وقوله: ﴿فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ الله﴾ [البقرة:115] أي: فثمَّ الله.

وقال الراغب الأصفهاني في هذه الآيات: ((إنّ الوجه في كلّ هذا زائد، ويعني بذلك: كل شيء هالك إلا هو، وكذا في أخواته))[44].

وبعض المفسّرين جعل إضافة الله إلى "الوجه" حقيقية وليست بزائدة، وقد عدّد الرازي توجيهاتُ معنى "الوجه" في القرآن الكريم ولا سيما في الآية الكريمة ﴿فثمّ وَجْهُ الله﴾، فوقف توجيهات عدة، منها:

1-الوجه: هو الوجود والحقيقة. 2-الوجه: صِلَة، والمراد: كل شيء هالك إلا هو. 3-الوجه: القصد والنِّيّة. 4-المراد منه: فثمّة مرضاة الله، ونظيره قوله تعالى: ﴿إنّما نُطْعِمُكُم لِوَجْهِ الله﴾ [الإنسان:9] يعني لرضوان الله.[45]

ولم يُبدِ الرازي تأييداً أو معارضة أو ترجيحاً لأي تفسير من التفاسير، واكتفى بعرضها.

2-زيادة كلمة "آل":

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سبق ذكر زيادة "آل" في الشعر العربي، وسنورد أمثلة على ورود كلمة "آل" في آي القرآن الكريم وأقوال اللغويين والمفسِّرين المتعدّدة في توجيهها. كلمة "آل" بمعنى أهل الرجل وعياله، والمشهور في استعمال "آل" إضافتها إلى العلم كـ: آل إبراهيم، آل يعقوب، آل موسى، آل عمران.

وممّن أجاز زيادتها في القرآن الكريم الزمخشري وأبو حيان الأندلسي والشهاب الخفاجيّ والطَّاهر بن عاشور.

فقد قال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿وَبَقِيَّةٌ مِمّا تَرَكَ آلُ مُوْسَى وآلُ هارُوْنَ تَحْمِلُهُ المَلائِكَةُ﴾ [البقرة:248]: ((يجوز أن يكون ممّا تركه موسى وهارون، و"الآل" مُقْحَم لتفخيم شأنهما، أي: زائد للتعظيم))[46]،

وقال أبو حيّان الأندلسي: (("آل" هنا زائدة، والتقدير: ممّا ترك موسى وهارون))[47].

وقال الشهاب الخفاجيّ: (("آل" يطلق على الأتباع والأولاد، ويكون بمعنى النفس والشخص، فيقحم للتعظيم، كأنّه في نفسه جماعة))[48].

وذكر الطاهر بن عاشور أن المراد من "آل موسى وآل هارون" أهل بيتهما أو ما تركه آلُهُما هو: آثارُهما، فيؤول إلى معنى: ما ترك موسى وهارون وآلهما، أو أراد: ما ترك موسى وهارون، فلفظ "آل" مُقْحَم.[49]

ممّا سبق نجد أن بعض العلماء تحرّج من ذكر لفظ "الزائد" على مفرادت القرآن الكريم واستبدلها بالمقحم.

3-زيادة كلمة "مقام":

إنّ صيغة "مقام" على وزن "مَفْعَل" وهي اسم للزمان والمكان، ويتحدّد المعنى الدلالي المقصود حسب السِّياق الذي ترد فيه الكلمة. وقد جعلها بعض اللغويين والمفسِّرين مقحمة زائدة في قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: 46].

فقد عقّب الزمخشري على هذه الآية بقوله: ((معنى ﴿مقام ربه﴾ موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم القيامة... ويجوز أن يراد به ﴿مقام ربه﴾ أنّ الله قائم عليه، أي: حافظ ومهيمن. وقيل: مُقْحم، كما تقول: أخاف جانب فلان، أي: فلاناً، وفعلت هذا لمكانك))[50].

وقال البيضاوي: ((﴿مقام﴾ مقحم للمبالغة))[51].

وقد توقف الآلوسي عند هذه الآية، وجوّز معاني متعدِّدة، ومما جاء في تفسير هذه الآية أنه جوّز أن يكون ﴿مقام﴾ مقحماً على سبيل الكناية، فالمراد: ولمن خاف ربّه، لكن بطريق برهاني بليغ.[52]

وكذلك رأى الطاهر بن عاشور جواز أن يكون ﴿مقام﴾ مقحماً للمبالغة بمعنى الشأن والعظمة وإفادة التوكيد.[53]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4-زيادة "اسم":

سبق وأوردنا أن كلمة "اسم" تزاد في الشِّعر، وقد عدّها كثير من المفسِّرين وعلماء اللغة مقحمة وزائدة في آيات عديدة من القرآن الكريم، ومنها قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِيْ الجَلَالِ والإِكْرَام﴾ [الرحمن: 78] وقوله: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحِيْم﴾.

ومن توجيهات اللغويين والمفسِّرين في الآية الأولى قول ابن قتيبة: ((وممّا يُزاد في الكلام "الاسم"، كقوله تعالى: ﴿تَبارَكَ اسمُ رَبّك﴾، أي: تبارك ربُّك))[54].

وقال أبو حيّان الأندلسي: ((المراد بـ"اسم" هنا: المسمّى)). وقيل: "اسم" مقحم، كـ"الوجه" في: ﴿ويَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلالِ والإِكْرام﴾ [الرحمن: 27]، ويدل عليه إسناد ﴿تبارك﴾ لغير الاسم في مواضع، كقوله: ﴿فتَبارَكَ اللهُ أحْسَنُ الخالقيْن﴾ [المؤمنون: 14]، و﴿تَبَارَكَ الذي إِنْ شَاءَ﴾ [الفرقان: 10]، و﴿تَبَارَكَ الذِي بِيَدِهِ المُلْكُ﴾ [الملك: 1]، وقد صحّ الإسناد إلى الاسم لأنّه بمعنى العلوّ، فإذا علا الاسم فما ظَنُّكَ بالمُسَمّى؟!))[55].

وقد أورد الإمام الرازي وجهين في هذه الآية الكريمة، فقال: ((هل الاسم مقحم؟ أو هو على أصلٍ مذكور له التبارك؟)).

وأجاب بقوله: ((فالمشهور أنَّه مُقْحم... والوجه الثاني: هو أنّ الاسم "تبارك"، وفيه إشارة إلى معنى بليغ...))[56].

وأمّا لفظ "اسم" في قوله تعالى: ﴿بِسْمِ الله الرَّحْمَن الرَّحِيم﴾ فقد عدّها أيضاً كثير من العلماء والمفسّرين مقحمة وزائدة من باب إطلاق الاسم على المسمّى، وهو قسم من أقسام المجاز، فقد قال أبو عبيدة: ((﴿بِسْم الله﴾ إنما هو: باللهِ، لأنّ اسم الشيء هو الشيء بعينه))[57].

وقال القرطبي: ((ذهب أبو عبيدة معمر بن المثنى إلى أنّ "اسم" صِلَة زائدة))[58].

وقال ابن فارس: ((قال بعض أهل العلم: إنّ العرب تزيد في كلامها أسماء وأفعالاً، أما الأسماء: فالاسم والوَجْه والمثْل. قالوا: فالاسم في قولنا: ﴿بِسْم الله﴾ إنّما أردنا "بالله"، لكنّه لمّا أشبه القَسَم زِيْدَ فيه الاسمُ))[59].

والمتتبع لكلام اللغويين والمفسّرين للآيات الواردة فيها كلمة "اسم" يجد أنّهم في الأعمّ جوّزوا إقحام هذا الاسم وزيادته.

5-زيادة كلمة "مثل":

المِثْل: مناظرة الشيء للشيء، وهذا مِثْلُ هذا، أي: نظيره، وربّما قالوا: مَثِيْل كشَبيه.[60]

وجاءت "مثل" في بعض كتب التفاسير صلة أو زائدة.

فقد تنوّعت آراء أهل التفسير في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ ما آمَنْتُم بهِ فَقَد اهْتَدَوا وإِنْ تَوَلّوا فإِنَّما هُمْ في شِقاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وهُوَ السَّميعُ العَليم﴾ [البقرة: 136].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وممّا ورد في تفسير كلمة "مثل" ما ذكره السمين الحلبي بقوله: (("المثل" ههنا صلة، والمعنى: فإنْ آمنوا بما آمنتم به، ومثله قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: 11] أي: ليس كهو شيء...

قال بعضهم: هذا من مجاز الكلام، تقول: هذا أمرٌ لا يفعله مثلُك، أي: لا تفعله أنت، والمعنى: فإن آمنوا بالذي آمنتم به، وهو يؤول إلى إلغاء "مثل" وزيادتها..))[61].

وقد عقّب ابن جنّي على أسرار زيادة "مثل" في الآيات القرآنية بقوله: ((العرب قد تأتي بـ"مثل" في نحو هذا توكيداً وتسديداً... ويراد- بزيادة مثل- أن يُجْعَل من جماعة هذه أوصافُهم تثبيتاً للأمر وتمكيناً له، ولو كان فيه وحدَه لقلق منه موضعُه، ولم ترسُ فيه قدَمُه، ولم يُؤْمَن عليه انتقالُه إلى ضدّه... فكذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به﴾ أي: فإن كانوا ممّن يؤمن بالحق هذا الجنسُ على سعته وانتشار جماعة، فقد اهتدوا، ورحم الله ابن عبّاس، فإنّ هذا القول- وإن كان اعتراضاً عليه- فعنه أيضاً أُخِذ، وإليه رُدَّ، وغيرُ ملومٍ من نصر الجماعة، وبالله الحول والاستطاعة))[62].

وأيضاً وردت زيادة "مثل" عند الكوفيين في الآية الكريمة: ﴿مَثَلُ الجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ المُتَّقُون﴾ [محمد: 15].

فقد نقل عن الفرّاء أنّ لفظة "مثل" ههنا زائدة، بمعنى أنّ "الجنة" خبرٌ دون المضاف إليه الذي هو "مثل" الزائد[63]، وقد أنكر الباقولي هذا المعنى في الآية، فيقول: ((لم نَرَ اسماً يُبدأُ به، ولم يُخبر عنه البتَّة، وكذا من قال: "المثل" يُقحم، أي: يُلْغى، لأن الاسم لا يكون زائداً، إنّا يزاد الحرف، فكذلك قول الزّجّاج... والزيادة شيء يقوله الكوفيون في: مثل، واسم، ويعلم، ويكاد، ويقول: هذه الأربعة تأتي في الكلام زيادة، ونحن لا نقول بذلك))[64].

وأيّد السيوطي هذا الكلام بقوله: ((وأمّا الأسماء فنصَّ أكثر النحويين على أنّها لا تزاد، ووقع في كلام المفسِّرين الحكم عليها بالزيادة في مواضع كلفظ "مثل" في قوله: ﴿فإنْ آمَنوا بِمِثْل ما آمَنْتُم به﴾ أي: بما))[65].

ومع أنّ كثيراً من المفسّرين لم يقرّوا الزيادة ههنا، إلا أنّنا نرى السمين الحلبي يذكر أوجهاً لإعراب "مثل" في الآية الكريمة، ومنها: ((أنّ ﴿مَثَلُ﴾ زائدة، تقديره: الجنّة التي وُعِد المتقون فيها أنهار، ونظير زيادة ﴿مثل﴾ هنا زيادة اسم..))[66].

إن معنى الزيادة التي أقرّها الكوفيون وكثير من المفسرين في كلمة "مثل" ليحمل من أسرار

التوكيد والبلاغة ما يزيد المعنى جلاء وبياناً ودلالة عميقة.[67]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

6-زيادة ضمير الفصل:

ضمير الفصل ضمير رفع يفصل بين المبتدأ والخبر، أو ما أصله مبتدأ وخبر، وضمير الفصل من عبارات البصريين ويسمّيه الكوفيون العِماد، والنحويّون يختلفون في إعراب ضمائر الفصل، فيرى البصريون أنها باقية على اسميتها لا محلّ لها من الإعراب، ويرى الكسائي أنها أسماء محلُّها محل ما بعدها، ويرى الفرّاء أنها أسماء محلها محل ما قبلها، ومذهب أكثر النحويين أنها حروف جاءت لمعنى في غيرها.

ورآها ابن عصفور زائدة، فقال: ((لم تَزِد العرب من الأسماء شيئاً إلا الضمير في الفصل خاصّة))[68].

ومن الآيات القرآنية التي ورد فيها ضمير الفصل قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَ هذا هُوَ الحَقُّ﴾ [الأنفال: 32] وقوله تعالى: ﴿كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيْب عَلَيْهِم﴾ [المائدة: 117]، وقوله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1].

7-زيادة الظرف "فوق":

"فوق" يكون ظرفاً واسماً، وعدّه بعض أهل اللغة صلةً في بعض الشواهد، وأطلقوا عليه زائد وصلة، لأنّ الظروف يُتوسّع فيها ما لا يُتوسَّعُ في غيرها. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿سَأُلْقِي في قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ﴾[الأنفال: 12]، أي: اضربوا الأعناق، و"فوق" زائدة، قاله الأخفش والضحّاك وعطيّة، وضَرْبُ الأعناق يقتضي ما فوقها.[69]

وإلى معنى الزيادة ذهب الفرّاء وابن قتيبة، فكلاهما ذكرا أن المعنى: اضربوا الأعناق.[70]

وذهب المبرّد والنحّاس وغيرهما إلى عدم جواز زيادتها، وقالا: هو خطأ، لأن الظروف وجميع الأسماء لا يجوز في كلام العرب أن تُزاد لغير معنىً. وقال النحاس: "فوق" يفيد معنىً، فلا يجوز زيادتها. وقال المبرّد: ليست بزائدة، وهي تدل على إباحة ضرب وجوههم، لأنها فوق الأعناق، ورُدّت الزيادة بأنها خلاف المعقول من الخطاب، وقلب معاني الكلام.[71]

ويعقِب ابن عطية على ردِّ معنى الزيادة ببيان سر بليغ في الدلالة، لأن الضربة التي تكون فوق العنق ودون عظم الرأس في المفصل هي من أبلغ ضربات العنق وأحكمها، فيجيء لفظ "فوق" ههنا متمكّناً.[72]

وورد توجيه الزيادة في "فوق" في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثا ما تَرَكَ﴾ [النساء:11]. قال القرطبي فيها، وقيل: "فوق" زائدة، أي: إن كُنّ نساءً اثنتين، كقوله تعالى: ﴿فاضربوا فوق الأعناق﴾ أي: الأعناق. لأن الله- تعالى- فرض للواحدة من النساء النصف، وفرض لما فوق الثنتين الثلثين فرضاً منصوصاً في كتابه.[73]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن الأمثلة المتقدِّمة التي اختلفت توجيهات المفسِّرين فيها بين الأصالة والزيادة نقف على أمورٍ متعدِّدة أبرزها:

أنّ كثيراً من المفسرين وعلماء اللغة تجنبوا إطلاق لفظ الزائد على ألفاظ القرآن الكريم تنزيهاً لكتاب الله ولكي لا يفهم بمعنى عديم الفائدة ولذلك عدلوا أحياناً لاستخدام مصطلح المقحم والمؤكد والصلة.

ولم يفعلوا ذلك كثيراً في الشعر، لقداسة النص القرآني ولخشيتهم من أن يوقعوا في كتاب الله معنىً غير مقصود أو يقولوا في كتاب الله ما ليس فيه.

وكذلك فإن المفسرين وعلماء اللغة بدا عليهم شيء من الاضطراب في منع الزيادة وإجازتها، وأحياناً يعدّدون الأوجه المتعدّدة نحوياً ودلالياً لمعنى الاسم الزائد دون ترجيح قول على آخر، والزيادة هي ضرب من المجاز في بلاغة التعبير وتوكيده، وهو رأي عامة الكوفيين في زيادة الأسماء يخالفهم البصريون في ذلك.

إن الأمثلة السابقة الذكر حول زيادة الأسماء تشير إلى أنّ علماء اللغة والبلاغة والتفسير اختلفوا في مفهوم الزيادة في بعض الأسماء، فمنهم من رأى أن الزائد هو ما أهمل معناه الأصلي وخلص للتوكيد وألغي عمله، ومن هؤلاء العلماء عامة أهل البصرة ومنهم: سيبويه والمبرد وابن الشجري وابن يعيش والرضي وغيرهم.(74)

ونُقِل عن ثعلب إنكار الزيادة في القرآن الكريم، وعن ابن السرّاج إنكارها في كلام العرب مطلقاً لأنها تكلّم بغير فائدة،(75) وهذا النقل لم أقف عليه في مصنفاتهما، وهما يثبتان الزائد ويستشهدان له بالقرآن الكريم.(76)

ويمكن القول إنّ منكري الزيادة إنّما ينكرون المصطلح والتسمية، ويتحرّجون من وصف الكلام الإلهي بما يوحي بأنّ فيه لغواً، ويسلّمون بما وراء المصطلح.

ومن النحاة اللغويين من استعظم تجوّز العرب بزيادة الاسم، مثل الخليل بن أحمد الفراهيدي، وقد ذكر سيبويه ذلك بقوله: ((والله إنه لعظيم جعلهم "هو" فَضْلاً في المعرفة، وتصييرهم إيّاها بمنزلة "ما" إذا كانت "ما" لغواً لأنّ "هو" بمنزلة "أبوه" ولكنهم جعلوها في ذلك الموضع لغواً، كما جعلوا "ما" في بعض المواضع بمنزلة "ليس"))(77).

والخلاصة أن أهل البصرة في الأغلب ينكرون زيادة الأسماء عامة إلاّ في مواضع مخصوصة جدّاً مثل: زيادة ضمير الفصل وزيادة لفظي مثل ومَثَل وفي مسألة إضافة المسمّى إلى الاسم، بينما قاعدة الكوفيين عامة أن الأسماء تزاد.(78) وبما أن الزيادة على خلاف الأصل فحقيقتها مقيّدة بالسماع ولا ترقى إلى منزلة القاعدة المطّردة. والزيادة ضرب من الاتساع

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والتجوز، ولم أقف على بحث حديث يتطرّق إلى زيادة الأسماء في العربية وما ذكره المحدثون لا يعدو أن يكون نقلاً من كتب القدامى، وبعضهم ذكره تحت عنوان "الاتساع في اللغة".[79]

خاتمة وتتضمّن نتائج البحث:

الزيادة في الأسماء في أشعار العرب وفي القرآن الكريم مبحث يحتاج دقّة في الدلالة وتبيُّناً لأوجه البلاغة والبيان، فقد اختلفت آراء المفسِّرين وعلماء اللغة في حقيقة الزيادة واكتنف بعض آرائهم الغموض، وتحرّجوا في إطلاق الزائد على لفظ القرآن الكريم خشية المساس بأصول المعنى الجليل الثابت، ولم نلق مثل هذا التشديد في إطلاق لفظ الزائد على ألفاظ الشعر العربي، ولكن بعد أن عرضنا لشواهد متعدِّدة ذكرت زيادة الأسماء فيها من آي القرآن الكريم وأشعار العرب نقف على نتائج متعدِّدة أبرزها:

1- أنّ أهل البصرة تشدّدوا كثيراً في إطلاق لفظ الزائد على الأسماء، ومنع جمهور البصريين زيادة الأسماء، وقد تكرَّرت هذه العبارة غيرما مرّة في البحث. بينما لم يتردد الكوفيون بإطلاق لفظ الزائد على كثير من كلام العرب وأشعارها وتوجيه بعض مفردات القرآن الكريم لذلك.

2- إنّ كثيراً من علماء اللغة والمفسِّرين بدا عليهم شيء من الاضطراب في تجويز زيادة الاسم أو منعه، فتراهم يصرّحون بمنع الزيادة في الأسماء في موضع، ومِن ثم يوردون أقوال من ذهبوا إلى جواز الزيادة دون تعقيب أو إنكار، وهذا ما نجده عند ابن هشام في المغني والسيوطي في همع الهوامع والرازي في تفسيره.

3- تجنّب إطلاق لفظ "الزائد" في كتاب الله- تعالى- حتى ينزّه كتاب الله عن فهم الزائد بأنه لا معنى له، لذلك استبدله بعضهم بالمقحم أو أوّلته جماعة على معنى ليست للزيادة فيه وجه، ولم تقلق الزيادة ابن جني- مثلاً- في لفظة "مثل" في القرآن الكريم، وعدَّها من باب التوكيد والاتساع في الكلام والتسديد له.

4- علماء العربية ومفسِّرو القرآن الكريم على اختلاف مذاهبهم النحوية وتفسيراتهم متّفقون على أنّ العرب لا تضع في كلامها ألفاظاً لا فائدة منها مطلقاً، ولا تسوق كلماتها جزافاً دون إيراد معنى معين حقيقي أو مجازي، لذلك فالزائد في كلامهم لا بدّ أن يفيد فائدة معنوية أو لفظية وإلاّ كان عبثاً ولغواً وتطويلاً لا فائدة له، والزيادة في اللفظ لفائدة مرجوّة بلاغية قد تخفى على من لا ينعم النظر في أصول الكلام الفصيح، فقاعدة الزيادة في الحروف تقضي بأن الزيادة في المبنى تعني زيادة في المعنى الدلالي، فإن كان هذا المعنى مستفاد من الحرف، فثبات معنى زيادة الأسماء لأغراض بلاغية أكثرها التوكيد والإثبات والتفخيم أوضح في لغة العرب.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

5- تختلف دلالة الكلمات الزائدة حسب السِّياق الذي ترد فيه، فتتعدّد المعاني والدلالات في النصوص الشعرية، وتبقى المعاني أكثر تحديداً في النص القرآني لقداسته ودقّة معانيه وأحكامه الشرعية الثابتة.

6- اللفظ الزائد يحمل قيمة في ذاته، والحاجة إليه تساوي الحاجة إلى اللفظ الأصيل، إذ لا يمكن تجاهل قيمة الاسم الزائد وما يقدّمه من رونق بلاغي ومعنى توكيدي أصيل، والزائد مبحث في العربية يفتح آفاقاً واسعة في التأويل والتفكّر في سحر اللغة وما فيها من أسرار بديعة، ولا يمكن إنكار هذا الباب في العربية مطلقاً لأننا عند ذاك نحدِّد كلام العرب ونقصره على قواعد ثابتة تخلو من إطلاق العنان للتفكّر بمعانٍ مجازيّة بلاغيّة، وتحدّ من سحر اللفظ وعذوبته. وقد سمّاه المحدثون "اتساعاً في اللغة".

حاول هذا البحث رصد آراء علماء اللغة وأهل التفسير حول ظاهرة "زيادة الأسماء" وبيّن اختلاف توجيهاتهم، وخلص إلى نتائج حول هذه الظاهرة، وأرجو أن أكون قد وفّقت في عرضي هذا.

الهوامش

(1) ابن فارس: مقاييس اللغة، تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو، ط2، دار الفكر، بيروت، 1998م. ("زيد" 466).

(2) ابن منظور: لسان العرب، د.ط، دار المعارف، مصر، د.ت. "زيد".

(3) الجرجاني: أسرار البلاغة، تصحيح وتعليق: السيد محمد رشيد رضا، د.ط، دار المعرفة، بيروت، 1987م. (384، 385).

(4) الكفوي: الكلّيّات، تحقيق: د.عدنان درويش ومحمد المصري، ط1، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1981م. (406/2، 407).

(5) انظر: السيوطي: الأشباه والنظائر، د.ط، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق 1985م. (158/2).

(6) انظر: الفرَّاء: معاني القرآن، تحقيق: محمد علي النجّار وأحمد يوسف، ط1، عالم الكتب، 1983م. (42/1، 20/2، 289).

(7) انظر: الفرَّاء: معاني القرآن، (20/1).

(8) انظر: الفرَّاء: معاني القرآن، (23/1، 207/3).

(9) ابن الأثير: المثل السائر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، د.ط، المكتبة العصرية، د.ت. (344/1).

(10) أبو هلال العسكري: الصناعتين، د.ط، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل، مطبعة عيسى البابي الحلبي، د.ت. (209).

(11) الجرجاني: أسرار البلاغة، (268).

(12) السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، د.ط، المكتبة العصرية، بيروت، 1988م. (196/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(13) ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة، د.ط، تحقيق: السيد أحمد صقر، المكتبة الفيصليّة، مكة المكرّمة، د.ت. (445).

(14) انظر: البغدادي: قانون البلاغة، تحقيق: د.حسن محسن عجيل، د.ط، مؤسسة الرسالة، د.ت. (142)، والرماني والخطابي والجرجاني: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، د.ط، دار المعارف، مصر، د.ت. (46، 47).

(15) الأزهري: تهذيب اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، راجعه محمد علي النجار، د.ط، مصر، 1964. ("حيي")، ولسان العرب: لابن منظور ("حيي").

(16) أبو زيد: النوادر، تحقيق: سعيد الحوزي الشرواني، ط2، بيروت، 1963م. (451)، وأبو علي الفارسي: إيضاح الشِّعر، تحقيق: حسن هنداوي، د.ط، دار القلم، دمشق، 1987م. (40)، وابن جني: الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، د.ط، دار الكتب المصرية، 1952م. (28/3).

(17) انظر: أبو علي الفارسي: إيضاح الشعر، (40)، وابن يعيش: شرح المفصل، د.ط، عالم الكتب، بيروت، د.ت. (24/3).

(18) ديوان أبي الأسود الدؤلي، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، د.ط، بيروت، د.ت. (48)، وابن منظور: لسان العرب (حيا).

(19) انظر: أبو علي الفارسي: إيضاح الشّعر، (40).

(20) ابن منظور: لسان العرب، ("ألل").

(21) ديوان جميل بثينة، تحقيق: د.حسين نصّار، د.ط، القاهرة، 1967م. (75)، والزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، د.ط، المطبعة الخيريّة بمصر، د.ت. (ألل).

(22) الزبيدي: تاج العروس، ("ألل").

(23) ديوان الشمّاخ، تحقيق: صلاح الهادي، د.ط، دار المعارف، القاهرة، 1968م. (92).

(24) انظر: أبو قتيبة: المعاني الكبير، ط2، دار الكتب العلميّة، بيروت، د.ت. (194)، والبغدادي: خزانة الأدب، طبعة بولاق، 1299هـ (222/2).

(25) انظر: ابن منظور: لسان العرب، ("سمو").

(26) ديوان لبيد بن ربيعة، تحقيق: د.إحسان عباس، د.ط، الكويت، 1962م. (2014)، وابن جني: الخصائص، (29/3)، وابن يعيش: شرح المفصل، (13/3).

(27) ديوان ذي الرمّة، تحقيق: عبد القدوس أبو صالح، د.ط دمشق، 1974م. (390/1)، وابن جنّي: الخصائص، (29/3).

(28) السيوطي: الأشباه والنظائر، (311/2)، والزبيدي: تاج العروس، ("حين" وفيه: "وبقل وجهه الغلام: خرج شعره").

(29) البيت في: ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: د.مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، ط3، دار الفكر، بيروت، 1972م. (273)، والسيوطي: همع الهوامع شرح جمع الجوامع، ط2، دار المعرفة، بيروت، د.ت، (138/2).

(30) انظر: الزمخشري: الكشاف، ط1، دار الفكر، 1977م. (168/2)، والسيوطي: همع الهوامع، (138/2)، وأبو حيان: البحر المحيط، د.ط، مكتبة النصر، الرياض، ومطبعة السعادة بمصر، د.ت. (518/4)، وابن هشام: مغني اللبيب، (273).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(31) اختلف في نسبة البيت: فهو في ديوان كعب بن زهير، ط1، دار الكتب المصريّة، 1369هـ (289)، ونسب إلى بشير بن عبد الرحمن في لسان العرب ("منن")، ولحسان بن ثابت في خزانة الأدب: للبغدادي (547/2).

(32) انظر: سيبويه: الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، ط2 دار القلم بمصر، 1966م. (269/1)، والسيوطي: همع الهوامع، (92/1)، وابن هشام: مغني اللبيب، (116).

(33) البيت في ابن الأنباري: شرح القصائد السبع الطوال، د.ط، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة مصر، د.ت. للزوزني دون نسبة (353).

(34) انظر: ابن هشام: مغني اللبيب، (434)، والبغدادي: خزانة الأدب، (549/2).

(35) ابن هشام: مغني اللبيب، (434).

(36) انظر: ابن هشام: مغني اللبيب، (397).

(37) انظر: الأزهري: شرح التصريح على التوضيح، د.ط، دار الفكر، بيروت، د.ت. (139/1).

(38) يروى البيت لأمية بن عائذ الهذلي (63)، ونسبه العيني إلى أمية بن أبي الصلت في المقاصد النحوية، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005م. (442/1)، وانظر: الأزهري: شرح التصريح: (139/1)، وابن هشام: مغني اللبيب، (432).

(39) السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، (268/2).

(40) السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، (268/2)، وانظر كذلك ابن الخشاب: المرتجل في شرح الجمل، تحقيق ودراسة: علي حيدر، د.ط، دمشق، 1972م. (120)، وابن الخشاب هو الإمام المحدّث النحويّ عبد الله بن أحمد بن نصر البغدادي، توفي في بغداد 567هـ انظر ترجمته في: الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب أرناؤوط وإخوانه، د.ط، مؤسسة الرسالة، د.ت. الطبقة الثلاثون (300/20).

(41) السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، (268/2).

(42) انظر: ابن فارس: مقاييس اللغة، ("وجه" 1083)، وابن منظور: لسان العرب، ("وجه")، والأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط1 دار القلم، دمشق، د.ت. (155).

(43) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط3، المكتبة العلمية بالمدينة، 1983م. (480).

(44) الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، (856).

(45) الرازي: التفسير الكبير، ط3 دار إحياء التراث، بيروت، د.ت. (24/25).

(46) الزمخشري: الكشّاف، (380/1).

(47) أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط: (262/2).

(48) الخفاجي: حاشية الشهاب على البيضاوي "عناية القاضي وكفاية الراضي"، دار صادر، د.ط، د.ت. (329/2).

(49) انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، د.ط، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 2000م. (471/2).

(50) الزمخشري: الكشاف، (49/4).

(51) انظر: الحلبي: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: د.أحمد الخرّاط، ط1، دار القلم، دمشق، 1994م. (178/101).

(52) الألوسي: روح المعاني، د.ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت. (116/27).

(53) انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، (246/27).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(54) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، (255).

(55) أبو حيان: البحر المحيط، (200/8).

(56) انظر: الرازي: التفسير الكبير، (138/29)، والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الأنصاري، د.ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1966م. (86/1).

(57) أبو عبيدة: مجاز القرآن، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1981م. (16/1).

(58) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، (86/1).

(59) ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة، (339).

(60) ابن فارس: مقاييس اللغة، ("مثل" 974).

(61) الحلبي: الدر المصون، (140/2، 141).

(62) ابن جني: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، تحقيق: علي النجدي ورفاقه، د.ط، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1966م. (113/1).

(63) انظر: الحلبي: الدر المصون، (59/7).

(64) إعراب القرآن: الباقولي، علي بن الحسين، المنسوب للزجّاج، تحقيق: إبراهيم الأبياري، د.ط، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1963م. (745/2).

(65) السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، (197/3).

(66) الحلبي: الدر المصون، (690/9، 691).

(67) انظر: ابن يعيش: شرح المفصل، (430)، وابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف، د.ط، مطبعة الروضة النموذجية، حمص، 1989م. (707/2) المسألة رقم (100)، والسيوطي: الإتقان في علوم القرآن، (285/2، 286).

(68) انظر قوله في: الجنى الداني في حروف المعاني: المرادي، الحسن بن القاسم، تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983م. (350)، وابن هشام: مغني اللبيب، (463).

(69) انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، (378/7).

(70) انظر: الفراء: معاني القرآن، (203)، وابن قتيبة: تفسير غريب القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، د.ط، القاهرة، 1958م. (177).

(71) انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، (63/5)، ومكي القيسي: مشكل إعراب القرآن، ط2 تحقيق: ياسين السوّاس، دار المأمون، د.ت. (343/1).

(72) انظر: الفراء: معاني القرآن، (405/1).

(73) انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، (63/5).

(74) انظر: الكتاب (38/1، 37- 25/4) والمقتضب للمبرد، تحقيق: عبد الخالق عضيمة، القاهرة، 1963م (420/4). والأمالي لابن الشجري: تحقيق: محمود الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة (378)، وشرح المفصل لابن يعيش 23/8، وشرح الكافية للرضي، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، منشورات مؤسسة الصادق، إيران 1978 (268/4).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(75) نقله ابن الخباز في توجيه اللمع: تحقيق: فايز زكي محمد ديات، دار السلام، القاهرة، ط1، 2002 (142)، وابن فلاح في المغني في النحو: تحقيق: عبد الرزاق السعدي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ط1، 1999 (181/1)، والسيوطي في الأشباه والنظائر 459/1.

(76) انظر: مجالس ثعلب: شرح وتحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف بمصر، ط2، 1960 (101، 102) والأصول لابن السرّاج: تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة 1985 (401/1، 437-357/2، 358)، والسيوطي في الأشباه والنظائر (459/1).

(77) الكتاب (397/2).

(78) انظر: مغني اللبيب 434، وخزانة الأدب 130/6.

(79) انظر: ضوابط الفكر النحوي: محمد عبد الفتاح الخطيب، دار البصائر، القاهرة (364/2)، والاتساع في النحو العربي لأسيدة شهبندر، شراع للدراسات والنشر والتوزيع (150) وظواهر الاتساع وأثرها في ضبط القاعدة النحوية: د.سناء الريس، وزارة الثقافة- دمشق (73).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com